

سُوْلَةٌ يُوسُفٌ



النَّزُولُ: مَكِيَّةٌ.

المَقَاصِدُ:

- ١ - بيان عظمة القرآن وإعجازه في أخباره الماضية.
- ٢ - بيان رعاية الله لأنبيائه، وتعهده لهم وحفظهم، وإعدادهم.
- ٣ - التحذير من فتنة النساء، وبيان كونها من أعظم البلاء الذي يتعرّض له المؤمن. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تركت على أمتي فتنة أشدّ من النساء، وإنَّ فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء». (صحيح البخاري - التفسير، برقم ٤٤٧٧).
- ٤ - تقرير عداوة الشيطان للإنسان.
- ٥ - بيان أصول تعبير الرؤيا وأدابها، والتفريق بين الرؤى والأحلام.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّٰ تِلَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقْصُ
 عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ
 أَعْفَلْنَاهُ إِذَا قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدًا عَشَرَ كَوْكِبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
 رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٣﴾ قَالَ يَتَبَعَّى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِحْوَاتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ
 الشَّيْطَانَ لِلنَّاسٍِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَكَذَلِكَ يَجْهِيَكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنَهِّ
 نَعْمَتَهُ، عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَهْلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبُو يُوبَكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلَيْهِ
 حَكْمٌ ﴿٥﴾

سبب النزول:

صَحَّ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ الآية، قال: أُنْزِلَ الْقُرْءَانُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَلَاهُ عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الرَّٰ تِلَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ تَلَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَانًا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ حَدَّثْنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّشَدِّدًا﴾ [الزمر: ٢٣] الآية، كُلُّ ذَلِكَ يُؤْمِرُونَ بِالْقُرْءَانِ.

(إتحاف الخيرة ١/٢٣٨ برقم ٢٣٨، وأخرجه الحاكم (المستدرك ٢/٣٤٥)، وابن حبان (الإحسان ١٤/٩٢ برقم ٦٢٠٩)، والضياء المقدسي في المختار (٣/٢٦٥ برقم ١٠٦٩) وقال محقق المختار: إسناده حسن. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر: حديث حسن كما في الإتحاف).

التفسير:

١ - ﴿الْأَرَءُ﴾ تَقَدَّمَ في مطلع سورة البقرة الكلام على الحروف المقطعة، وأنَّ من الحكمة في إيرادها بيان إعجاز القرآن، مع ما في الاستفناح بها من جمال وجلال وروعة.

هذه الآيات العظيمة الشأن من آيات القرآن المبين في هديه وبلاغته.

٢ - إِنَّا - لِمَا لَنَا مِنَ الْعَظَمَةِ الْكَاملَةِ وَالْقَدْرَةِ الشَّامِلَةِ - أَنْزَلْنَا مِنْ عَنْدِنَا هَذَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِ عَرَبٍ فَصِيحٌ؛ لَكِي تَفْهَمُوا مَعَانِيهِ، وَتُدْرِكُوا مَرَامِيهِ.

٣ - نَحْنُ نُحَدِّثُكَ أَيَّهَا الرَّسُولُ، وَنَرْوِي لَكَ أَخْبَارَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ بِأَصْدِقِ كَلَامٍ، وَأَحْسَنِ بَيَانٍ، بِوَحْيٍنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ، إِنْ كُنْتَ قَبْلَ إِنْزَالِهِ لَمْنَ الغَافِلِينَ عَنِ ذَلِكَ. وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الإِنْعَامِ أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ نَبِيَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ.

٤ - يُذَكِّرُ اللَّهُ سَبِّحَانَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأُمَّتُهُ بِقَصْةِ يُوسُفَ ﷺ وَمَا حَوْتَهُ مِنْ مَوَاعِظٍ بَلِيغَةٍ، مُبْتَدِئًا بِالرُّؤْيَا الْعَجِيَّةِ الَّتِي تَحَقَّقَتْ، فَقَدْ قَالَ يُوسُفَ ﷺ لِأَبِيهِ يَعْقُوبَ ﷺ: يَا أَبِي إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَحَدَ عَشْرَ كَوْكَبًاً، وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ كُلَّهُمْ سَاجِدِينَ لِي!

٥ - فَأَجَابَهُ بِنَصِيحةِ الْأَبِ الْحَكِيمِ، وَبِشْرَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ: يَا بُنَيَّ لَا تَخْرِي بِهَذِهِ الرُّؤْيَا إِخْوَتَكَ فِي حَسْدِكَ، وَيُدَبِّرُوا لَكَ الْمَكِيدَةِ لِإِهْلَاكِكَ، وَإِقْصَائِكَ. إِنَّ الشَّيْطَانَ الْمَلُوْنَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ ظَاهِرُ الْعِدَاوَةِ، يُحَرِّشُ بَيْنَ الإِخْرَوَةِ، وَيُوَغِّرُ صُدُورَهُمْ؛ لِيُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ.

٦ - وَمِثْلَ مَا أَرَاكَ رَبُّكَ هَذِهِ الرُّؤْيَا الَّتِي تَفَصَّحُ عَنْ عَلُوِّ مَقَامِكَ، يَخْتَارُكَ وَيَلْهُمُكَ تَعْبِيرَ الرُّؤْيَا، وَيَتَمَّمُ نِعْمَتَهُ الْكَرِيمَةَ عَلَيْكَ وَعَلَى ذُرِيَّةِ يَعْقُوبَ بِالنَّبِيَّ وَالرَّسُولِ، مُثِلَّمًا أَتَمَّهَا مِنْ قَبْلِ عَلَى أَجْدَادِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ. إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ بِأَهْلِ الْفَضْلِ مِنْ عَبَادِهِ، حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرَو رض، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ»؛ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ». (صَحِيفَةِ الْبَخَارِيِّ ٢١٢/٨ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ - سُورَةُ يُوسُفِ، بَابُ (الآيَةِ) بِرَقْمِ ٤٦٨٨).

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - في قصص هذه السورة الكريمة وأشباهه تسليةً وتَسْرِيَةً لقلب النبي ﷺ الذي لقي من قومه صنوف الأذى والاضطهاد.
- ٢ - قصص القرآن الكريم أعظم القصص.
- ٣ - وجوب العدل بين الأولاد، وتحاشي ما يوغر صدورهم.
- ٤ - بشري ليوسف عليهما السلام بالنبوة.
- ٥ - تحذير يوسف عليهما السلام من كيد إخوته.
- ٦ - صدق النبي ﷺ؛ إذ لا سبيل له لمعرفة هذه القصة إلا بالوحى.
- ٧ - جواز إخفاء بعض النعم خوفاً من الحسد.
- ٨ - مشروعية التحذير ممَّن يُخشى شره.
- ٩ - أدبُ نبِيِ اللهِ يوْسُف عليهما السلام مع أبيه، وتقديره له.
- ١٠ - مشروعية عرض الرؤيا على مَنْ يُعرف تعبيِّرها من أهل الثقة.
- ١١ - قد تتحقق الرؤيا بعد مدة طويلة من الزمن، كما حَدَثَ ليوسف عليهما السلام مع أسرته.
- ١٢ - رعاية الله تعالى لأنبيائه وإعداده لهم.
- ١٣ - في الآية (٤) إخبار مستقبلي بالبشرة لما وصل إليه يوْسُف عليهما السلام من عُلوٌ المنزلة في الدنيا والآخرة.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْرَيْهِ إِيَّا تُ لِسَابِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفَ وَأَخْوَهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ أَبِيهَا مِنَّا وَنَحْنُ عَصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتَلُوا يُوسُفَ أَوْ أُطْرَاهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَاتِلُ مِنْهُمْ لَا نَقْتُلُ يُوسُفَ وَالْقُوَّهُ فِي غَيْبَتِ الْجُنُّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَهِ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَاتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدَّا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْرُنُّنِي أَنْ تَدْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الْذِئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَيْلَنْ أَكَلَهُ الْذِئْبُ وَنَحْنُ عَصْبَهُ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾

التفسير:

٨ - ٧ - حقاً لقد كان في قصة يوسف وإخوته دلائل وعبر لمن يسأل عن أخبارهم، حين قال إخوة يوسف من أبيه فيما بينهم - وهم تسعة - : إنَّ يوْسُفَ وَأَخَاهُ الشَّقِيقُ أَحَبُّ إِلَيْهِ أَبِيهَا مِنَّا جَمِيعاً، ونحن جماعة لنا شأن وذوق عَدَد. إنَّ أَبَانَا لَفِي خَطْأٍ وَاضْعَفَ فِي إِيَّاهُ يُوسُفَ وَأَخْيَهُ عَلَيْنَا.

٩ - قال أكثرهم : اقتلوا يوسف ، أو ألقوا به في أرض مجهلة بعيدة عن أنظار الناس ، يَضْفُ لِكُمْ حُبَّ أَبِيكُمْ ، فَيُقْبَلُ عَلَيْكُمْ ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِكُمْ ، وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِ هَذَا الْفَعْلِ قَوْمًا صَالِحِينَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ .

١٠ - ١١ - قال أحد إخوة يوسف : لا تقتلوا يوسف ، وألقوه في قاع البئر ، يلتقطه بعض السائرين في الطريق ، إنْ كُنْتُمْ عازِمِينَ عَلَى إِبْعَادِهِ عَنْ أَبِيهَا . فَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ ذَهَبُوا إِلَى أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ ﷺ يَسْتَأْذِنُونَهُ بِاصْطِحَابِ يُوسُفَ فِي رَحْلَةِ إِلَى الْبَرِّ ، فَلَمْ يَوْافِقْ ، فَقَالُوا لَهُ اسْتَعْطِفَاً بِنَسْبِ الْأَبُوَةِ : يَا أَبَانَا أَيُّ شَيْءٍ حَدَثَ لَكَ ؟ لَكِيَّا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ، وَإِنَّا نُحِبُّ لَهُ الْخَيْرَ كَمَا نُحِبُّ لِأَنفُسِنَا ؟

١٢ - أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدَّا لِلْمَرْعَى ؛ لِيُنْشَطَ وَيَأْكُلُ ، وَيَلْتَذَّ بِالثَّمَرَاتِ ، وَيَمْرِحُ وَيَسْرُحُ ، وَإِنَّا لَمُعْتَنُونَ بِهِ ، وَحَرِيصُونَ عَلَى سَلَامَتِهِ .

١٣ - قال أبوهم: إنني أحزن حقاً لغيبة يوسف بذهابه معكم، وأخاف أن يفترسه الذئب حال اشغالكم بالرعى أو باللهو.

١٤ - فأقسموا لأبيهم مؤكدين: إن افترسه الذئب ونحن جماعة قوية متتبهة، إنما إذا لخائبون، لا خير في جمعنا.

الفوائد والاستنباطات:

١ - قصة يوسف عليه السلام حافلة بالعبر والعظات والدروس والآيات لكل باحث عن الحق.

٢ - ظن إخوة يوسف أن قوتهم واتحادهم أحري بمحبة أبيهم لهم، وغفلوا عن الأسباب الداعية للمحبة، ومنها: رقة القلب، والشفقة والعطف، وسلامة الصدر.

٣ - سوء الظن بالأنبياء والصالحين - إن لم يتداركه العبد - يفتح أبواب الفتنة والشرور.

٤ - قلب الأب ومحبته تسع جميع الأبناء، فلا تُنال بالمكايد والدسائس؛ فالغايات النبيلة لا تُدرك بالوسائل الرذيلة.

٥ - مراعاة الأب لمشاعر الأبناء، واتقاء ما قد يُفضي إلى التحاسد بينهم.

٦ - الفطانة واليقظة مطلوبة للنجاة من المكايد.

٧ - دم الحسد والتحذير من آثاره السيئة.

٨ - قال الشيخ الشنقيطي: «الظاهر أن مراد أولاد يعقوب بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في هذه الآية الكريمة - إنما هو الذهاب عن علمحقيقة الأمر كما ينبغي، ويدل لهذا ورود الضلال بهذا المعنى في القرآن وفي كلام العرب، فمنه بهذا المعنى قوله تعالى عنهم مخاطبين أباهم: ﴿قَالُوا تَالَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَالْقَدِيرِ﴾ [يوسف: ٩٥]، وقوله تعالى في نبينا عليه السلام: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧] أي: لست عالماً بهذه العلوم التي لا تُعرَفُ إلا بالوحى، فهداك إليها، وعلّمكها بما أوحى إليك من هذا القرآن العظيم».

٩ - قال ابن عاشور: «جملة ﴿وَتَحْنُ عُصَبَة﴾ في موضع الحال من

﴿أَحَبُّ﴾، أي: ونحن أكثر عدداً. والمقصود من الحال التعجب من تفضيلهما في الحب في حال أن رجاء انتفاعه من إخوتهما أشد من رجائهما منها». (التحرير والتنوير: ٢٣/١٢).

١٠ - في قولهم: ﴿قَالُوا يَتَأْبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ دليل على أنهم طلبوا من أبيهم صحبة يوسف، فرفض.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيْثَتِ الْجَبَّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لِتُنِيبَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٥﴾ وَجَاءُو أَبَاهُمْ عَشَاءَ يَبْكُونَ ١٦﴾ قَالُوا يَتَأْبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَرَكَّنَّا يُوسُفَ إِنَّدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الْذَّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَدِيقَنَ ١٧﴾ وَجَاءُو عَلَىٰ قِيمِصِهِ بِدَمِ كَذِبٍ قَالَ بْلَ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرُ جَيْلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصْفُونَ ١٨﴾ وَجَاءَتْ سِيَارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَادَلَنْ دَلَوْهُ قَالَ يَبْشُرَى هَذَا عُلُمٌ وَاسْرُوُهُ بِضَعَةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٩﴾ وَشَرَوْهُ شَمَنْ بِخَسِ دَرَهُمْ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ ٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي أَشْرَنَهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأِنِهِ أَكْرِمِي مَثَوْنِهِ عَسَّ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَسْخِدَهُ وَلَدَّا وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِغَلِيمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَنِكَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشَدَّهُءَاتَنِهِ حُكْمًا وَعَلَمًا وَكَذَلِكَ بَجَرِي الْمُحْسِنِينَ ٢٢﴾

التفسير:

١٥ - استجواب يعقوب لـ لهم بعد الذي أظهره من محبة وشفقة ونصح وحفظ، فلما ذهبوا بيوسف وقد أبرموا أمرهم أن يلقوه في قعر البئر، فجرّدوه من قميصه ودللوه، ولكن الرعاية الربانية كفيلة بإنقاذه واطمئنانه، إذ أوحى الله تعالى إليه حينذاك: لَتُخْبِرَنَّ مُسْتَقْبَلًا إِخْوَتَكَ بِفَعْلِهِمْ هَذِهِ حَقًا، وَهُمْ لَا يُحْسِنُونَ بِذَلِكَ، وفي ذلك بشرى بنجاته منهم، وعتابه لهم بعد لقائه بهم، وإن تناهت الديار. وقد أنجز جلّ وعلا ذلك الوعد، كما في قوله: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخْيِهِ إِذْ أَنْتُمْ جَهَلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]، وقد ترددوا إليه دون

أن يعرفوه وهو في هيئته ومكانته : ﴿ وَجَاءَ إِخْرَوْ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ [يوسف: ٥٨] .

١٦ - وبعد أن دَبَّروا المكيدة أرادوا إخفاءها ، فجاوَرُوا ليغتذروا إلى أبيهم في أول الليل ، وهم يتباَّكون بتضَّعْفٍ ؛ ليُظْهِرُوا الأسف والأسى على فقدان أخيهم !

١٧ - فخاطبوا أباهم بلطف واستمالة بنسب القرابة : يا أبانا ذهبنا نتسابق فيما بيننا ، وفارَّقْنَا ي يوسف حين جَعَلْنَاهُ عند زادِنا وحوائجنا ؛ ليحرسها ، فجاءه الذئب وافترسه ، ولستَ بمُصَدِّقٍ لنا ، ولو كُنَّا صادقين في ذلك .

١٨ - وأحْضَرُوا إلى أبيهم قميص يوسف وقد لَطَّخَوهُ بدم ، فرَدَ عليهم يعقوب ﷺ مُنْكِرًا صابرًا مُوقنًا بمستقبل يوسف المشرَّف بالنبوة : لم يأكله الذئب ، بل زَيَّنْتُ لكم أنفسكم أمراً منكراً ، فصبري صبر جميل ، لا جزع فيه ولا شکوى إلى أحدٍ من الخلق ، وأطلب العون من الله على تَحْمُل هذه المصيبة ، وَحَلَّ مشكلها .

١٩ - فهياً الله تعالى مَنْ ينقذ يوسف من البئر ، حين مرَّ بعض المسافرين بالطريق القريب منه ، فأرسلوا مَنْ يَجْلِبُ لهم الماء ، فلما أرسل دلوه في البئر تعَلَّق يوسف بالحبل فخرج ناجياً ، فلما رأه صاحب الدلو بِجَمَالٍ خَلْقَهُ وبراءة طفولته صاح فَرِحاً مستبشرًا بـ بكتز فريد : يا بشرى ، هذا غلام . وأخْفَوا أمره ؛ ليبيعوه كالبضاعة التجارية ، والله علِيم بعملهم .

٢٠ - ولَمَّا ذهب المسافرون بـ بـ يوسف إلى (مصر) باعوه بشمن قليل من المال ، وكانوا فيه من الزاهدين ؛ لأنَّهم لم يدركوا قدره وعلمه ، واشتراء منهم عزيز مصر - أحد وزراء الملك - ، وقال لأمرأته : أحسني إقامته معنا ؛ لعله ينفعنا في الخدمة ، أو نتبناه فنجعله ولداً لنا . ومثل ما أنجينا يوسف من المكيدة ، جعلنا له مقاماً كريماً عند عزيز مصر ، ولكي تُعلّمه تفسير الرؤى . والله غالب على أمره لا يُعْجِزُه شيء ، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ذلك .

٢٢ - ولَمَّا بلغ يوسف غاية قوة الشباب ، أعطيناه حكمة وفقهاً في الدين والرؤى . ومثل هذا الجزاء الذي جَرَّيْناه به نَجْزِي الذين يُحسِّنون في أقوالهم وأفعالهم ، فهو بعد محنَّة البئر جاءته منحة النجاة ، ثم محنَّة الرقّ ، ثم منحة

التكريم. وفي مجيء هذه الآية في هذا الموضع أيضاً إشارة إلى أنَّ هذه الصفات من الْحُكْمِ والعلم والإحسان، صفات طيبة لا تُثمر إلا الخير والبر والطهر.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - لُطفُ الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه وهم في شدائده المحن، تجلَّ ذلك في بشري الله تعالى ليوسف أنَّه سينجو من كيد إخوته، ويواجههم به يوماً ما.
- ٢ - ربما يتصنَّعُ الجناني البكاء؛ لينسلُّ من جريمته ويتنصلُ منها، فالدَّموع ليست دليلاً على الصدق.
- ٣ - رعاية الله تعالى للمظلومين، ونصرته لهم ولو بعد حين.
- ٤ - قول العزيز ﴿أَكَرِّمِي مَؤْنَهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ يدل على فراسة العزيز.
- ٥ - التبني كأنَّه مشروعاً قبل الإسلام، ثم حَرَّمه الإسلام.
- ٦ - البيع والشراء للبشر كان سائداً في بني إسرائيل، ولما جاء الإسلام عالج هذا الرُّق بالعتق، وسعى لتجفيف منابعه.
- ٧ - مهما توخيَ الإنسانُ الحذرَ فإنَّ القدرَ لا بدَّ من وقوعه.
- ٨ - الحكم والعلم نعمُ إلهية يختص بها المولى ﷺ مَنْ يشاء من عباده، وأنَّ الإحسان هو مفتاح الفتوحات، وطريق الرضا والقبول.

﴿ وَرَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ شَوَّايْ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾٢٤ وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَبَّهُنَّ رَبِّيَ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ وَأَسْتَبَقَ الْأَبْابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبْرِهِ وَأَلْفَيَا سَيْدَهَا الْأَبْابَ قَالَتْ مَا جَرَأَهُ مَنْ أَرَادَ يَأْهِلُكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴾٢٥ قَالَ هِيَ رَوَدَتِنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْمَ مِنْ قُبْلٍ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنْ الْكَذِيلِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدْمَ مِنْ دُبْرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنْ الصَّدِيقِينَ ﴾٢٦ فَلَمَّا رَأَهَا قَمِيصُهُ قُدْمَ مِنْ دُبْرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنْ إِنْ كَيْدُكُنْ عَظِيمٌ ﴾٢٧ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَأَسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾٢٨

التفسير:

٢٣ - ثم اجتمعت منحة التكريم مع محنـة امرأـة العـزيـزـ التي وقـعت في عـشـقـ يـوسـفـ وـقدـ كانـ يـعيشـ فيـ قـصـرـهاـ ، وـفـتـنـتـ بـجمـالـهـ ؛ بـسبـبـ التـسـاهـلـ بـعـضـ الـبـصـرـ عنـ يـوسـفـ الـذـيـ كانـ يـعيشـ فيـ قـصـرـهاـ ، فـوـسـوسـ لـهـ الشـيـطـانـ بـأـنـ تـطـلـبـ مـنـ يـوسـفـ بـمـلـاطـفـةـ وـإـغـرـاءـ أـنـ تـغـوـيـهـ وـتـسـتـمـيلـهـ لـلـفـاحـشـةـ ، وـعـزـمتـ عـلـىـ مـرـادـهـ ، وـسـلـكـ لـذـلـكـ مـاـ يـثـيرـ الـعـواـطـفـ وـيـهـيـجـ النـفـوـسـ وـيـهـيـئـ الـأـجـوـاءـ ؛ إـذـ أـحـكـمـتـ غـلـقـ الـأـبـوـابـ ؛ لـتـخـلـوـ بـهـ ، وـقـالـتـ لـهـ : تـهـيـأـتـ وـتـصـنـعـتـ مـنـ أـجـلـكـ ، فـأـقـبـلـ إـلـيـهـ . فـرـدـ عـلـيـهـ مـذـكـراـ لـهـ بـحـقـ الـأـمـانـةـ وـخـطـرـ الـخـيـانـةـ : أـعـوذـ بـالـلـهـ وـأـسـتـجـيـرـ بـهـ مـمـاـ تـدـعـيـنـيـ إـلـيـهـ مـنـ الـخـيـانـةـ الـقـبـيـحـةـ لـسـيـديـ الـذـيـ أـحـسـنـ مـقـامـيـ ، وـتـفـضـلـ بـإـكـرـامـيـ . إـنـهـ لـاـ يـسـلـكـ طـرـيـقـ النـجـاةـ وـالـفـوزـ مـنـ اـعـتـدـيـ عـلـىـ حـرـمـاتـ اللـهـ تـعـالـىـ . أـخـرـجـ الطـبـرـيـ بـسـنـدـ الـحـسـنـ عـنـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـلـحةـ ، عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ قـولـهـ : ﴿ هـيـتـ لـكـ ﴾ قـالـ : هـلـمـ لـكـ . (التـفـسـيرـ الصـحـيـحـ : ٣١٨/٣).

٢٤ - عـزـمتـ اـمـرـأـةـ العـزـيـزـ عـلـىـ فـعـلـ الـفـاحـشـةـ ، وـأـصـرـتـ عـلـيـهـ . وـأـمـاـ يـوسـفـ فـقـدـ حـدـثـتـ نـفـسـهـ بـالـنـزـولـ عـنـ رـغـبـتـهـ حـدـيـثـ نـفـسـ دـوـنـ عـزـمـ وـقـصـدـ ، وـلـمـ يـلـبـ إـلـاـ لـحـظـاتـ ، فـرـأـيـ آيـةـ مـنـ آيـاتـ الـهـدـيـةـ مـنـ عـنـدـ اللـهـ عـزـلـ ذـلـكـ

ال الحديث ، فعصمه الله تعالى من الافتتان بهذه البليّة . وإنما بَصَرْنَاه لتدفع عنه السوء والفاحشة . ويمثل ما صرف الله عنه كيد إخوته صرف كيد هذه المرأة ؛ ليجتّبه الواقع في هذه الجريمة . إنَّ يوسمف عبد مخلص الله تعالى ؛ لذا فقد نفر يوسف هارباً منها متوجهاً إلى الباب يريد الفرار إلى الله العزيز الجبار ، ولحقت به تمنعه من ذلك ، حتى وصلت الباب ، وأمسكت بقميصه مِنْ خلفه ، الذي انشقَّ من شدة قبضتها ، وسوء فعلتها . وفي أثناء هذه المحاولة الفاشلة وجد زوجها عند الباب ، فانتهت محنَّة العواية ، لتبدأ محنَّة الأمر بالحبس . وعندما رأت زوجها حاولت أن تقلب الفضيحة على الضحية وتُبرئ نفسها ، فقالت باحتيال ، مبادِرةً بالسؤال : ما عقابُ مَنْ أراد بزوجتك فاحشة إلا أن يُحبس في السجن ، أو يُعذَّب أشد العذاب ؟

قال الشيخ الشنقيطي : « ظاهر هذه الآية الكريمة قد يفهم منه أنَّ يوسف عليه السلام همَّ بأن يفعل مع تلك المرأة مثلَ ما هَمَّتْ هي به منه ، ولكن القرآن العظيم بينَ براءته عليه الصلاة والسلام من الواقع فيما لا ينبغي ، حيث بينَ شهادة كلَّ مَنْ له تَعَلُّق بالمسألة ببراءته ، وشهادة الله له بذلك واعتراف إبليس به . أمَّا الذين لهم تَعَلُّق بتلك الواقعه فهم : يوسف ، والمرأة ، وزوجها ، والنسوة ، والشهدود . أمَّا جَرْمُ يوسف بأنه بريء من تلك المعصية فذكره تعالى في قوله : ﴿هَيَ رَوَدَنِي عَنْ فَسِي﴾ وقوله : ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ الآية . وأما اعتراف المرأة بذلك ففي قولها للنسوة : ﴿وَلَقَدْ رَوَدَهُ عَنْ فَسِيْهِ فَأَسْتَعْصِمُ﴾ وقولها : ﴿أَلَنْ حَصَبَ الْحَنْ أَنَّ رَوَدَهُ عَنْ فَسِيْهِ وَإِنَّهُ لِمَنِ الصَّادِقِينَ﴾ . وأما اعتراف زوج المرأة ففي قوله : ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ ؛ ولهذا يحسن الوقوف على قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ .

٢٦ - ٢٧ - فردَ ذلك يوسف على ذلك الكيد ، مدافعاً عن نفسه بوقار ، مستعيناً بالله تعالى فقال : هي التي دعتني إلى ذلك . ثم شهد شاهد عادل عاقل من أهل بيتها فقال : إن كان قميص يوسف شُقّ من الأمام فهي صادقة في اتهامها له ، وهو من الكاذبين ، وإن كان شُقّ من الخلف فهي كاذبة في قولها ، وهو من الصادقين ، وقد استجاب زوجها لهذه النصيحة لعلاج الفضيحة التي غمرت بيته .

قال الشيخ الشنقيطي : «يُفهم من هذه الآية لزوم الحكم بالقرينة الواضحة الدالة على صدق أحد الخصمين ، وكذب الآخر؛ لأنَّ ذِكْرَ الله لهذه القصة في مَعْرِضِ تسلیم الاستدلال بتلك القرينة على براءة يوسف يُدلُّ على أنَّ الحكم بمثل ذلك حُقُّ وصواب؛ لأنَّ كون القميص مشقوقاً من الخلف دليل واضح على أنه هارب عنها، بينما كانت تجذبه من خلفه».

٢٨ - فلَمَّا رأى الزوج قميص يوسف قد شُقَّ من الخلف تأكَّد من براءة يوسف ، وقال مُوبِخاً لامرأته متسامهاً في عقوبتها : إنَّ هذا الأمر المدبَّر من مكركِ أنتِ ، ومَنْ ساهم معك في التخطيط والخلوة ، إنَّ مَكْرُكُنَ للتخَلُّص ممَّا دَبَرْتَنَ شُرُّ كَبِيرٍ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «لهذا لما لم يُذْكُر عن يوسف توبة في قصة امرأة العزيز ، دَلَّ على أنَّ يوسف لم يُذْنِب أصلًا في تلك القصة». (منهاج السنة : ٤١٢ - ٤١١).

٢٩ - وأراد زوجها سَرَّ الفجور بكل فتور ، فأمر يوسف بأن يسكت عَمَّا حصل ويتركه ، وقال لزوجته : اطلبِي المغفرة من الله ، إِنَّك كنت من الخاطئين في فَعْلَتِك وافتِرائِك ! !

الفوائد والاستنباطات :

١ - فضيلة الصبر على المحن ، والصمود أمام الإغراءات والفتنة ، والثبات في زمن الشدائِد والابتلاءات .

٢ - بيان مكانة العلم وقيمة ، ولا سيما عند اشتداد الخطوب وبروز الفتنة ، فالعلم عصمة ونجاة ، ورفعه وارتقاء .

٣ - بيان أهمية غَضْ البصر ، فإنَّ دوام البصر على المحرَّمات يؤدي إلى الوقوع في انتهاك الحرمات .

٣ - بما أنَّ الاختلاط سبب في إثارة الغرائز ولا سيما داخل البيوت ، فإنَّ هذه الآيات وَضَحَّتْ مَغْبَةً ذلك ، وأفصحت عن خطورته في الأسرة خاصة ، والمجتمع عامة ، فلا بدَّ من مراعاة آداب البيوت من الاستئذان والحجاب ، ومنع الاختلاط والخلوة وفضول النظر .

٥ - بيان فضل الاستئذان .

- ٦** - سُمُّوُ الأسلوب القرآني في حديثه عن المراودة بهذا الأدب الرفيع، الذي يُصوّر الحَدَثَ، ويعبر عنه بألطف عبارة وأدق بيان.
- ٧** - المؤمن يرعى الْحُرْمَ والأمانات، ويصونُ الأعراضَ، ويحفظ حَقَّ الله تعالى وحقوق العباد، ويقابل الإحسان بالإحسان، كما فعل يوسف عليه السلام.
- ٨** - مراقبة الله تعالى في كل حال، وتقواه جل وعلا في السر والعلن.
- ٩** - وجوب الاستعاذه بالله عز وجل والاعتصام به سبحانه من الفتنة، وصيانة الْحُرُمُ، ورعاية العهد والذِّمَّة، واستحضار النعم، فالعفة والطهر توفيق من الله تعالى وهداية منه.
- ١٠** - في هذه القصة نموذجٌ عمليٌّ للشاب المتعطف في المجتمعات التي لا تُلقي بالاً للفضيلة، ولا ترفع لها راية، كيف صان يوسف عليه السلام نفسه من فتنة المرأة الحسناء، وكيد الفاتنات من نساء القصور.
- ١١** - ذَمُّ الهوى، والتحذير من عَلَيْته، وتمكّنه من صاحبه، كما وقع من امرأة العزيز، حين استبدَّ بها الهوى، فأصبحت أسيرة لهواها، أما يوسف عليه السلام فهو النبي المعصوم، صاحب العقل المستنير بأنوار النبوة، كرَّمه الله، ورفعه لَمَّا صان نفسه عن الهوى.
- ١٢** - فتنة النساء من أعظم البلاء الذي يعرض للمؤمن، فليستعدْ بالله تعالى من فتنهن وكيدهن.
- ١٣** - قال أبو السعود: «والعدل عن التصریح باسمها: سَتْرًا عليها، أو للاستهجان بذِكره، وإيراد الموصول لتقریر المراودة، فإنَّ كونه في بيته مما يدعو إلى ذلك، وإظهار كمال نزاهته عليه السلام؛ فإنَّ عَدَمَ ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها، واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة والنِّزاهة». (إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٩٣/٣).
- ١٤** - جاء النص القرآني بـ«وَغَلَقَتِ» للدلالة على المبالغة في إغلاقها من جهة الإحكام في الغلق، أو لكثره الأبواب، وفي تغليقها للأبواب دلالة واضحة على إصرارها على الفاحشة، ولفتها لنظر يوسف عليه السلام إلى ما تريده منه، ومع ذلك فإنه عليه السلام يُعرض عنها، ولا يلتفت إليها؛ لعلَّها تعود إلى رشدها.

١٥ - نسبة العزيز الكيد إلى النساء؛ لبيان عدم اختصاص الكيد بامرأته، والجمع يفيد تعظيم هذا الكيد.

﴿ وَقَالَ نَسُوَّةٌ فِي الْمَدِينَةَ أُمَّرَاتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَنَّهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُّسِيْنِ ﴾٢٠﴿ فَمَا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَاعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَبِّرًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ أَخْرُجْ عَنِيهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَعْتُ أَيْدِيهِنَّ وَقُلْنَ حَشْ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾٢١﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تُمْتَنِنِ فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدَنِهِ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ لَيَسْجُنَنَّ وَلَيَكُونُنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾٢٢﴿ قَالَ رَبُّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كِيدَهُنَّ أَصْبَحَ إِلَيْهِنَّ وَأَدْنَى مِنَ الْجَهَلِينَ ﴾٢٣﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَّفَ عَنْهُ كِيدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ الْسَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾٢٤﴿ ثُمَّ بَدَأَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا أَمْلَائِنَ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينِ ﴾٢٥﴿

التفسير:

٣٠ - انتشر الخبر وذاع، ووصل إلى نسوة في المدينة، إذ قُلنَ مُنْكِراتٍ عليها: امرأة العزيز لا زالت تدعى غلامها لنفسها، قد أسرها جماله. إنَّا لنتعتقد بأنَّها في خطأ واضح، وخَلَل فادح.

٣١ - لقد وصلتها خبر النسوة عاجلاً، الذي اشتمل على ثلاثة أنواع من المكر: وهو ذمُّها لفعلتها، وإصرارها على ذلك، وغيبيتها، وشوقهنَّ لرؤيتها يوسف الذي مازال في قصر العزيز؛ لأنَّه لم يتمتنعَ من مقابلته، بل أمعنَّ النظر فيه حتى انبهَرَنَ بجماله، وفُتِنَّ فيه حين دَعَتْهُنَّ وهِيَاتٌ لهُنَّ مجلساً خاصاً بهِنَّ فيه طعام، وأعطت كل واحدة منها سِكِّيناً، كيداً بهِنَّ على كيدَهُنَّ، وأمرت يوسف أن يخرج عليهنَّ؛ لتُظْهِرَ لهُنَّ حُسْنَ يوسف، فلما رأين يوسف بنظرهنَ الثاقب أعْظَمُنَ جماله الفائق الذي بهَرَ نفوسيهنَ، وأَسَرَ قلوبهنَ، فذَهَلْنَ، فجرحنَ أياديهمَ بالسِّكاكين، وهُنَّ مندهشات متعجبات غير محتشمات يُرَدَّدنَ: حاشا الله - أَيُّ : تنزيهاً لله ، وتَعَجُّباً من خلقة هذا المخلوق - ما هذا الفتى بشراً، لأنَّ جماله الآسِرِ لم يُعْهَدْ في البشر، ما هذا إلَّا مَلَكٌ من الملائكة في الجمال.

٣٢ - فخاطبت امرأة العزيز النسوة بكل جرأة، وقد فتنهنَّ ما فتنها، متوعدة يوسف بالسجن إن لم يستجب لرغبتها الجامحة قائلة: فذلك الذي غيرتني في حبي له. وقسمًا لقد راودته عن نفسه، فامتنع وأبى، وقسمًا إن لم يفعل ما أمره به مستقبلاً ليعاقبنَّ بدخول السجن قطعاً، ولি�صيرنَّ من الأذلاء المُهانين.

٣٣ - فأدرك يوسف استمرار المكيدة وتفاقمها من قبل النسوة اللاتي تعلقت قلوبهنَّ فيه؛ بسبب نظراتهنَّ الفاحصة، فأعرض يوسف عنهنَّ جميعاً متوكلاً على الله بالدعاء، متضررًا إليه تعالى، مستعلياً بآيمانه على الرذيلة، مفتخرًا بثباته على الفضيلة: يا رب إنَّ السجن الذي يهدُّدني بدخوله على ما فيه من ضيق أحبُّ إلى ممَّا يدعونني إليه هؤلاء النسوة كلُّهنَّ من فعلة الفاحشة، وإن لم تدفعْ عنِي مكرهَنَّ أهلَّ إلينَّ، وأكن من الجاهلين المرتكبين للفواحش. وفي هذا الدعاء دعوةٌ لهنَّ إلى توحيد العبودية والربوبية، وقطعُ آمالهنَّ الخبيثة، وبيانُ لأهمية غضْ البصر؛ فإنَّ دوام البصر إلى المحرمات يؤدي إلى الوقوع في انتهاك الحرمات.

٣٤ - فأجاب الله تعالى له دعاءه، فنجاه من كيدهنَّ، وثبتَّه على العفة. إنَّ سبحانه هو السميع للدعاء والأقوال، العليم بالأهواء والأفعال.

٣٥ - ولمَّا أدرك العزيز الغافل أنَّ الفضيحة انتشرت، وأنَّ براءة يوسف ظهرَت، رأى هذا الحائر ومنْ حوله إلقاءه في السجن إلى أن تُنسى الفضيحة.

الفوائد والاستنباطات:

١ - قال ابن القيم: «وكلام النسوة متضمن لوجوه من المكر منها قولهنَّ: (امرأة العزيز) - بوضفها لا باسمها - الذي يؤكد قبح صنيعها؛ لكونها ذات زوج، فتصدور الفاحشة منها أقبح من صدورها ممَّ لا زوج لها، وزوجها عزيز مصر فهي لم تتحترم مكانة زوجها، وأنَّها هي المراوِدةُ الطالبة، وأنَّ المُراوَد فتاتها الذي هو في بيتها وتحت كَنفها، وأنَّ الحُبَّ بلغ بها أعظم مبلغ حتى وصل إلى شغاف قلبها، وأنَّ فتاتها عفيف طاهر، متصرف بالوفاء والحياة، وهي على النقيض من ذلك، وأنَّ المراوِدة لا تزال مستمرة ومتتجدة». (إغاثة اللهفان من مكاييد الشيطان: ٨٨/٢ بتصرف..).

٢ - قال أبو السعود: «وتسمية ذلك مكرًا؛ لكونه خُفيَّةً منهم، كمكر الماكر. وقيل: استكتمتهن سرًا فأفشينه عليها، وقيل: إنما قلن ذلك ليتوصلن من خلاله إلى رؤية يوسف». (إرشاد العقل السليم: ٤/٢٧١).

٣ - روعة التعبير بـ ﴿فَذَلِكُنَّ﴾ فالفاء فصيحة عن شرط محذوف، أي: إذا كان الأمر كذلك فذلك الذي لمتنني فيه.

٤ - التعبير بـ ﴿فَنَّالُكُنَّ﴾ اسم الإشارة البعيد؛ لبعد منزلته وسمو مكانته، وبعده عن السوء، وكأنها تعلم أن وصولها إليه صعب المنال، بل إنه محال، فهو ﴿نَّالُكُنَّ﴾ رغم عيشه معها في بيت واحد، إلا أن نجوم السماء أقرب إليها منه، وهي مع ذلك تحبه، وتطمئن في قلبه.

٥ - بيان أثر الدعاء عند الكروب والشدائد.

٦ - الثبات أمام الفتنة من علامات الصلاح.

٧ - دخول السجن ليس دليلاً على الانحراف، فقد يدخله الصالحون.

٨ - صورة حياة القصور في ذلك العصر، وحال سكانه من المترفين والمنغمسين في بحار الشهوات.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ الْسِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَيْنِي أَعْصَرُ خَمْرًا وَقَالَ الْأُخْرُ إِنِّي أَرَيْنِي أَحْمَلُ
فَوْقَ رَأْسِي خِبْرًا تَأْكُلُ الظَّيرُ مِنْهُ نَيْشَنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرِنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا
طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمْنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَةً فَوْمِ لَا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَفَرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَةً أَبَاءِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا
كَانَ لَنَا أَنْ نُشَرِّكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصَدِّحِي الْسِّجْنَ أَرْبَابُ مُتَغَرِّفُونَ خَيْرٌ أَمِّ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُولَتِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاوْكُمْ مَا أَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ
أَمْرٌ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصَدِّحِي
الْسِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْأَخْرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الظَّيرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ
الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْنِيَانٌ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٌ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ
فَأَنْسَلَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَيَثَ فِي الْسِّجْنِ بِضَعْ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

التفسير:

٣٦. ثبت يوسف على الفضيلة، وتحدى أصحاب الرذيلة، فرضي بالحكم الجائر في سجن ذلك الظالم، وهيأ الله تعالى له من يدعوه إلى الإيمان بالله تعالى. ودخل معه السجن فتيان فلما أحسن إليهم وأطمنا إلينه، طفقا يسألانه عن تعبير بعض الرؤى، فقال أحدهما: إني رأيت في المنام أنني أعصر عنباً لصنع خمر منه. وقال الفتى الآخر: إني رأيت في المنام أنني أحمل فوق رأسي خبراً تأكل الطير منه. أخبرنا يا يوسف بتفسير ما رأينا. إننا نراك من الذين يُحسنون في أفعالهم وأقوالهم، وتعبير الرؤيا.

٣٧. فبشرهم يوسف بما عنده من العلم العجيب، قال: لا يأتيكم شيئاً من الطعام الحسن إلا أخبرتكم بما بنوعه وحقيقةه قبل أن يصل إليكم. ذلك التعبير الصحيح الذي سأذكره لكم مما علمني ربّي، إني آمنت بالله تعالى، وتركت دين قوم لا يصدقون بالله ولا بالبعث، بل يكذبون بذلك.

٣٨ - وفي الجواب عن تعبير الرؤى وَرَدَتْ نصيحة إيمانية عظيمة لدعوة الفتَّين، فيذكر يوسف قصة الإيمان التي عاشها : وَاتَّبَعْتُ دِينَ آبَائِي : إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَأَبِي : يَعْقُوبَ، مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ فِي عِبَادَتِهِ تَعَالَى ، سَوَاءً كَانَ الشَّرِيكَ صَنْمًا أَوْ غَيْرَهُ . ذَلِكَ الْإِيمَانُ الْعَظِيمُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا جَمِيعًا وَعَلَى النَّاسِ كُلَّهُ ، لَمَّا أَكْرَمَنَا بِهِ مِنَ الْهُدَى ، وَوَفَّقَنَا إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْتِقْامَةِ ؛ لَمَّا فِيهِ مِنَ الْحَيَاةِ الْطَّيِّبَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَالْجَنَّةِ الْكَرِيمَةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ .

٣٩ - ثُمَّ لَفَّتَ أَنْظَارَ السَّائِلِينَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَقَالَ لَهُمْ مُنْكِرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ : يَا صَاحِبَيَّ فِي السِّجْنِ أَعْبَادُهُ أَلَّهُ مُتَعَدِّدُهُ مُخْلُوقَهُ لَا تَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهَا خَيْرٌ ، أَمْ اللَّهُ تَعَالَى الْوَاحِدُ الْمُتَفَرِّدُ بِالْعَظَمَةِ ، الْقَهَّارُ الَّذِي انْقَادَتِ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا لِقَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ سُبْحَانَهُ ؟

٤٠ - مَا تَعْبُدُونَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ إِلَّا مَجْرِدُ أَسْمَاءٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا وَلَا نَفْعٌ لَهَا ، أَوْجَدْتُمُ أَسْمَاهَا ، وَجَعَلْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ أَرْبَابًا جَهَلًا مِنْكُمْ وَضَلَالًا ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِعِبَادَتِهِ مِنْ حَجَةٍ وَبِرْهَانٍ عَلَى صَحَّتِهَا . مَا الْحُكْمُ النَّافِذُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، أَمْرٌ سُبْحَانَهُ أَمْرٌ عَظِيمًا أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ فَهُوَ الْوَاحِدُ الْمُتَفَرِّدُ . ذَلِكَ الدِّينُ الْعَظِيمُ هُوَ الدِّينُ الْمُسْتَقِيمُ الثَّابِتُ الَّذِي لَا عَوْجٌ فِيهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ هَذَا الدِّينِ وَأَتِبَاعِهِ .

٤١ - ثُمَّ خَاطَبَ يُوسُفَ ﷺ الْفَتَّينَ بِقَرَابَةِ الصَّحَّبَةِ ؛ لِيَجْذِبَهُمْ إِلَى الإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى : يَا صَاحِبَيَّ فِي السِّجْنِ إِلَيْكُمَا تَأْوِيلَ رُؤْيَاكُمَا : أَمَّا الَّذِي رَأَى أَنَّهُ يَعْصِرُ الْعَنْبَ لِصْنَعِ الْخَمْرِ ، فَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنَ السِّجْنِ ، وَيَكُونُ عَمَلُهُ سَاقِيَ الْخَمْرِ لِلْمَلْكِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ الَّذِي رَأَى أَنَّهُ يَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهِ خَبْزًا تَأْكِلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ سَيُضْلَبُ وَيُتَرَكُ ، وَتَأْكِلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ . قُضِيَ الْأُمْرُ الَّذِي كُنْتُمَا فِيهِ تَسْفِيَانِ .

٤٢ - وَأَوْصَى يُوسُفَ ﷺ الَّذِي تَوَقَّعَ نِجَاتَهُ بِأَنْ يَذْكُرَ مُشَكْلَتَهُ عِنْدَ الْمَلْكِ ، وَمَا رَأَهُ مِنَ الْعِلْمِ فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا ؛ لِيَرْفَعَ الظُّلْمَ عَنْ يُوسُفَ ، فَأَنْسَى الشَّيْطَانُ سَاقِيَ الْمَلْكِ أَنْ يَذْكُرَ لِلْمَلْكِ حَالَ يُوسُفَ ، فَمُكِثَ فِي السِّجْنِ عَدَّةَ سَنَوَاتٍ .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - بيان أدب تأويل الأحلام والرؤى.
- ٢ - الدعوة إلى التوحيد من أهم أولويات الدعوة، ووجوب التبرؤ من الشرك.
- ٣ - اغتنام الفرص للدعوة إلى الله تعالى في السراء والضراء.
- ٤ - جواز الاستعانة بالآخرين؛ لقضاء المصالح.
- ٥ - أثر الشيطان في إبعاد الناس عن فعل الخير.
- ٦ - احتمال حصول الرؤيا الصادقة من غير المسلم.
- ٧ - حسن الصحبة والمعاشرة حتى في أصعب الظروف.
- ٨ - في الآيات (٣٦ - ٤١) إخبار مستقبلي في تعبير يوسف عليه السلام لرؤيا الرجلين.

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانًا يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٌ وَآخَرَ يَأْسَدَتْ يَتَائِهَا الْمَلَأُ أَفْتَوَنَ فِي رُءُيْنَى إِنْ كُنْتُمْ لِرَبِّهَا يَا تَعْبُرُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا أَصْنَفْتُ أَحَلَمِي وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحَلَمِ بِعَلَمِنَا ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الَّذِي نَحْنُ مِنْهُمَا وَأَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةً أَنَا أَبْيَثُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسَلُونَ ﴿٤٣﴾ يُوسُفُ أَيَّهَا الْصِّدِيقُ أَفْتَنَا فِي سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانًا يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٌ وَآخَرَ يَأْسَدَتْ لَعَنِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ قَالَ تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَا كُلُّنَّ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِسُونَ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ مُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٧﴾

التفسير:

- ٤٣ - وقال ملك مصر لأصحابه ومستشاريه: إنني رأيت في المنام سبع بقرات ممتلة الجسم يأكلهن سبع بقرات ضعيفة، ورأيت سبع سنابلات خضر،

وسبع سنبلات يابسات. يا أيها الأعيان والعلماء: أخبروني بتعبير هذه الرؤيا، إن كنتم تعرفون تفسيرها.

٤٤ - فأجابوه: هذه الرؤيا أخلاقط أحلام مشتبهه، ولسنا بتفسير الأحلام عالمين.

٤٥ - قال ساقي الملك، وتذكر بعد مدة من الزمن وصية يوسف التي نسيها: أنا أخبركم بتعبير هذه الرؤيا، فأرسلوني إلى يوسف في السجن؛ ليخبرني بذلك.

٤٦ - وحينما التقى يوسف خاطبه متحبباً له: يا يوسف، أيها البليغ في الصدق، أخبرنا عن تعبير رؤيا منْ رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات مهزولة، وسبع سنبلات خضر وسبع سنبلات يابسات، لعلّي أرجع إلى الملك وأصحابه فأخبرهم؛ لعلهم يعلمون تعبيتها، ويدركون فضلك وعلماك.

٤٧ - قال يوسف لصاحب السائل: تعبير هذه الرؤيا: إنكم تزرعون سبع سنين متتابعة بجد، مما حصدتم من الحبوب في كل عام فاتركوه في سنبلاه؛ للحفظ عليه من الآفات، إلا قليلاً مما يخصص للطعام.

٤٨ - ٤٩ - ثم يأتي بعد هذه السنين السبع الخصبة سبع سنين أخرى شديدة القحط، يأكل أهلها ما ادخرتم، إلا قليلاً مما يخصص لبذور الزرع القادم، ثم يأتي من بعد هذه السنين المجدبة عام فيه يُغيث الله تعالى الناس بالمطر المدرار، فيعصرون فيه الثمار.

الفوائد والاستنباطات:

١ - الاستفادة من تأويل الرؤيا في الدعوة والإصلاح والتوجيه والنصح.
٢ - الإشارة إلى مسألة اقتصادية مهمة في حفظ القمح وخزنه بطريقة مأمونة، لا تكلّف جهداً أو مالاً، ألا وهي أن يبقى القمح في سنبلاه، وهذه حقيقة علمية اقتصادية.

٣ - إفاده السائل بأكثر مما سأله.

٤ - مقابله الإساءة بالإحسان، والظلم بالعفو.

٥ - فضل العلم وأهميته في حل المشكلات، ومواجهتها للأزمات.

٦ - أفاد البحث العلمي:

- أ**- أن التخزين بإبقاء الحبوب في سنابلها هو أحسن التقنيات والأساليب للحفاظ على الحبوب المحفوظة داخل السنابل من غير أن ينال منها الزمن.
- ب**- أن مدة (١٥) سنة هي المدة القصوى لاستمرار الحبوب محافظة على طاقة النمو، والتطور فيها.
- ج**- أن البدور التي تُعزل من السنابل تتقلص كميتها بنسبة ٣٢٪ من البروتينات مع مرور الوقت بعد سنتين ، وبنسبة ٢٠٪ بعد سنة واحدة.
- د**- أن دراسة القدرة الإناثية أثبتت القدرة الفائقة والسرعة المتفوقة للإنبات بالنسبة للحبوب المُخزنة في السنابل.

(<http://quran-m.com/container2.php?fun=artview&id=1151>)

٧ - في الآيتين (٤٨ - ٤٩) إخبار مستقبلي في تعير يوسف عليه السلام لرؤيا الملك.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بِالْنِسُوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبِّي يَكْيِدُهُنَّ عَلَيْمٌ ﴾٤٩﴿ قَالَ مَا حَطَبُكُنَّ إِذْ رَوَدْنَ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَشَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأُتُ الْعَزِيزِ أَلَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لِمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾٥٠﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَبِيدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ يَأْشُوءُ إِلَّا مَا رَحَمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾٥١﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾٥٢﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى حَزَابِنَ الْأَرْضِ إِلَيْ حَفِيطٍ عَلَيْمٌ ﴾٥٣﴾

التفسير:

- ٥٠ -** من أجل ذلك أمر ملك مصر حاشيته بأن يأتوه بيوسف، فلما جاء رسول الملك إلى يوسف يدعوه لمقابلة الملك، قال يوسف قاصداً إظهار براءته: ارجع إلى سيدك الملك، واطلب منه أن يطلع على حقيقة قصة النسوة اللاتي جرحن أيديهن، وما سبب ذلك؟ إن ربى عليم بمكرهن وتدبرهن.

٥٢ - ٥١ واستجاب الملك لطلب يوسف، واستدعي النسوة مع امرأة العزيز، وسائلهنَّ: ما شأنكَنَّ حين دَعَوْتُنَّ يوسف إلى الفاحشة؟ فأجَبَنَه جواباً مبتوراً عن حال يوسف، وترَكَنَ ذِكْرَ هيامهنَّ به! فقلنَ: عيادةً بالله تعالى، وتنزيهاً ليوسف، ما علِمْنَا عليه أدنى شيء يشينه. وفي هذا الجواب إيهام صريح ببراءتهنَّ، واتهام صريح لأمرأة العزيز، لذا صرَّحت بالمكر الكَبَار قائلةً: الآن ظهر الحق جلياً، فأنا التي حاولت فتنته باغرائه فامتنع، وإنَّه لصادق في تبرئة نفسه. ذلك الاعتراف الصريح ليعلم زوجي العزيز علماً مؤكداً أنَّني لم أَخْنُه بإخفاء الأمر عليه، وهو غائب عنِّي، وأنَّ الفاحشة لم تقع، وأنَّ الله لا يهدى مكر الذين يخونون الأمانات.

٥٣ - واعترفت أيضاً بقولها: وما أَزْكَيْتُ نفسي مطلقاً. إنَّ النفس كثيرة الأمر لصاحبها بفعل المعاishi، إلا مَنْ رحمه الله بِحِفْظِه من فعل المعاishi. إنَّ ربِّي غفور للتاينين من ذنبهم، رحيم بهم.

٥٤ - وبعد أن تَحَقَّقَ الملك من براءة يوسف، وأنَّه قد ظلم، أراد أن يكرمه ويضعه في المقام الذي يليق به، فأمر الملك بإحضار يوسف إليه؛ ليجعله من أهل المشورة المقربين له، ويقطع صلته بالعزيز، فلما حضر يوسف كَلْمَه الملك مباشرةً، وَعَرَفَ فَضْلَه وفِطْنَتَه، وبَشَّرَه قائلًا: إنَّكَ اليوم عندنا ذو مكانة عالية، ومؤمن على كل شيء.

٥٥ - وقال يوسف للملك: أرجو أن تجعلني والياً على خزائن أموال أرض مصر؛ لأنَّي أحسن المحافظة عليها، وأعلم ما يصلح شأنها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما سؤال الولاية فقد ذمَّه النبي ﷺ، وأما سؤال يوسف قوله: ﴿أَجَعَلَنِي عَلَى خَرَائِينَ الْأَرْضِ﴾؛ فلأنَّه كان طريقاً إلى أن يدعوه إلى الله، ويعدل بين الناس، ويرفع عنهم الظلم، ويفعل من الخير ما لم يكونوا يفعلونه». (مختصر الفتاوى المصرية ٥٦٤).

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - فضل الحوار للوصول إلى الحق.
- ٢ - فضيلة الاعتراف بالذنب وقول الحق؛ لرفع الظلم عن المظلوم.

- ٣ - جواز وصف الإنسان بما يمتلكه من قدرات، ومنها جواز طلب تولّي الإمارة ممّن علِمَ في نفسه القدرة على ذلك، دون تزكية النفس.
- ٤ - اعتراف امرأة العزيز بکذبها على يوسف ، وبصدقه أيضاً.
- ٥ - ضرب يوسف عليه أروع الأمثلة في الصبر والثبات، وفي هذا المعنى يقول عليه: «... ولو لبشت في السجن ما لبّث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبيه». (صحيح البخاري، عن أبي هريرة عليه - كتاب أحاديث الأنبياء - برقم ٣٣٨٧)
- ٦ - لم يُصرّح يوسف عليه بذكر امرأة العزيز تأدباً وتعففاً، وقد قابلت هذا الأدب الرفيع من يوسف عليه بالاعتراف بما صنعته، والشهادة ليوسف عليه بالعفة والطهارة.
- ٧ - منْ كان أميناً على الأعراض، كان جديراً بالأمانة على الأموال، وخزائن الأرض.

وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ وَلَا جُرْمُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿٢﴾ وَجَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُمْ وَهُمْ مُنْكَرُونَ ﴿٣﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِعِهَادِهِمْ قَالَ أَتُؤْنِي يَاجْنَاحَ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي أَلْكِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُزَرِّينَ ﴿٤﴾ إِنَّمَا تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كِيلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَ ﴿٥﴾ قَالُوا سَنُرُودُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَا لَنَعْلُونَ ﴿٦﴾ وَقَالَ لِفُتَنِيهِ أَجْعَلُو بِضَعْفِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ لِعَاهِمُ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أَفْكَلُوهُ إِلَى أَهْلِهِمْ لِعَاهِمُ يَرْجِعُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنْعِنَ مِنَ الْكَيْلِ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا كَتَنَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿٨﴾ قَالَ هَلْ إِنْتُمْ كُمْ عَيْنَهُ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلِ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفَظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحْمَينَ ﴿٩﴾

التفسير:

- ٥٦ - ٥٧ - ومثل ما أنعمنا على يوسف بإخراجه من السجن، جعلنا له سلطة وعزّة في أرض مصر يتصرف فيها كيف يشاء لمصلحة الناس. وهذا شأن الله تعالى في عباده، يهبُ نعمته وفضله لمَنْ يشاء، ولا يضيع أحقر مَنْ

أحسن في قوله أو عمله. ولثواب الآخرة الباقي أعظم من ثواب الدنيا الفاني للمؤمنين بالله المتقين له.

٦٠ - وَتَسَلَّمَ يُوسُفُ وَلَا يَهِيَّ المَالُ، ثُمَّ قَدِمَ إِخْوَتَهِ مَصْرٌ حِينَ أَصَابَهُمُ
القحط؛ لِيَجْلِبُوا مِنْهَا الطَّعَامَ، فَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ، فَعَرَفُوهُمْ أَنَّهُمْ إِخْوَتُهُ، وَلَمْ
يُعْرِفُوهُ لِطُولِ عَهْدِ الْفَرَاقِ، وَقَدْ أَمْرَ بِتَكْرِيمِهِمْ وَإِعْطَاهُمْ مَا طَلَبُوا مِنْ شَرَاءِ
الطَّعَامِ، وَكَانَ قَدْ عَلِمَ أَخْبَارَهُمْ حِينَ التَّقَىَ بِهِمْ، وَبَلَّغُوهُ أَنَّ لَهُمْ أَخَّاً مِنْ أَبِيهِمْ
لَمْ يُحْضِرُوهُ مَعَهُمْ - وَهُوَ شَقِيقُهُ - فَطَلَبُوا مِنْهُمْ إِحْضَارَهُ، وَرَغَبُوهُمْ وَذَكَرُوهُمْ
بِحُسْنِ الضِّيَافَةِ وَالْوَفَاءِ بِالْكَيْلِ؛ لِكَيْ يُسْرِعُوا بِإِحْضَارِهِ، وَحَذَرُوهُمْ مِنْ عَدَمِ
إِحْضَارِهِ، فَإِنَّهُ يُوقِنُ كِيلَ الطَّعَامِ لَهُمْ، وَلَا يَقْرِبُهُمْ.

٦١ - قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ: سَنَجْتَهُدُ فِي طَلَبِهِ مِنْ أَبِيهِ؛ لِيَرْسِلَهُ مَعَنَا، وَإِنَّا
لَمَنْفَذُونَ مَا أَمْرَتَنَا بِهِ.

٦٢ - وَقَالَ يُوسُفُ لِعَمَّالِهِ الْقَائِمِينَ عَلَى الْكَيْلِ: اجْعَلُوهُ ثَمَنَ مَا أَخْذُوهُ
مِنَ الطَّعَامِ فِي أَمْتَعْتَهُمْ سِرَّاً؛ لِكَيْ يَعْرُفُوا بِضَاعْتَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَى أَهْلِهِمْ،
وَيُقَدِّرُوا إِكْرَامَنَا لَهُمْ؛ لِيَرْجِعُوا إِلَيْنَا طَمَعاً فِي عَطَائِنَا.

٦٣ - فَلَمَّا رَجَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَى أَبِيهِمْ خَاطَبُوهُ بِنَسْبِ الْأُبُوَةِ اسْتِعْطاْفًا،
وَأَخْبَرُوهُ بِإِكْرَامِ الْعَزِيزِ لَهُمْ، وَأَنَّهُ لَنْ يَكْرِمَهُمْ بِالْطَّعَامِ الْوَافِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ، إِلَّا
إِذَا كَانَ مَعَهُمْ أَخْوَهُمُ الَّذِي أَخْبَرُوهُ بِهِ، وَطَلَبُوهُ إِرْسَالَهُ مَعَهُمْ لِيَحْصُلُوهُ عَلَى
الطَّعَامِ وَافِيًّا، وَإِنَّهُمْ لَحَافِظُونَ لَهُ حَقًا مِنْ أَيِّ مَكْرُوهٍ.

٦٤ - قَالَ لَهُمْ أَبُوهُمْ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ: كَيْفَ أَنْقُ بِكُمْ لِحِفْظِ أَخِيكُمْ، إِلَّا كَمَا
وَرَثْتُ بِكُمْ لِحِفْظِ أَخِيهِ يُوسُفَ مِنْ قَبْلِهِ، إِذَا ذَهَبْتُمْ بِهِ إِلَى الْبَرِّ وَلَمْ تَعُودُوا بِهِ؟
فَأَنَا غَيْرُ مُطْمَئِنٍ لِطَلْبِكُمْ، وَلَكِنِي أَثْقَ بِحِفْظِ اللَّهِ، فَهُوَ خَيْرُ الْحَافِظِينَ، وَأَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ بِعِبَادِهِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - فضل الصبر على الشدائيد والمحن، إذ فيه الفوز بالفوائد والمنح.
- ٢ - طول المدة التي قضتها يوسف بعيداً عن أبيه وعائلته؛ إذ إنَّ إخواته لم يعرفوه.
- ٣ - أهمية الترغيب والترهيب في تحقيق المراد الحسن.

٤ - ثقة نبی الله یعقوب ﷺ بربه، ویقینه بلطفه وحفظه.

٥ - فی الآیة (٥٦) إخبار مستقبلی أنَّ الله ﷺ لا یضیع أجر مَنْ أحسن شيئاً من العمل الصالح.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبَغَى هَذِهِ بِضَعَتِنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزَادُ كِيلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾٥٥﴿ قَالَ لَنَّ أَرْسِلَهُمْ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونَ مَوْتِيقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتِنَّ بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْتِيقُهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾٥٦﴿ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاجِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةً وَمَا أُنْفَى عَنْكُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلُ وَعَلَيْهِ فَلِتَوَكَّلُوا إِلَيْهِمْ كَلُونَ ﴾٥٧﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبْوَاهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَنَهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَامَنَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾٥٨﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخْوَكَ فَلَا تَبْتَسِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾٥٩﴿ فَلَمَّا جَهَزَهُمْ بِمَهَارِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنَ مُؤْذِنَ أَيْتَهَا الْعِيرَ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴾٦٠﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴾٦١﴿ قَالُوا نَفْقَدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حَمْلٌ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾٦٢﴿ قَالُوا تَالَّهُ لَقَدْ عِلْمَتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ سَرِقِينَ ﴾٦٣﴿ قَالُوا فَمَا جَرَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ كَذَّابِينَ ﴾٦٤﴿ قَالُوا جَرَوْهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَرَوْهُ كَذَلِكَ نَبْغِي الظَّالِمِينَ ﴾٦٥﴾

التفسير:

٦٥ - ولما فتحوا أوعيتهم فوجئوا بوجود ثمن البضاعة، وقد أعاد يوسف إليهم تكريماً لهم، فعاودوا الطلب إلى أبيهم یعقوب ﷺ يخاطبونه بلطف: يا أبانا أي شيء نريد أكثر من هذا الكرم؟ هذا ثمن البضاعة ردَّ العزيز إلينا، وسنأتي بالطعام لأهلانا، ونحفظ أخانا الذي سترسله معنا ، فنزلَاد

بهذه الصحبة لأخينا حملَ بغير من الزاد، وهو سهلُ الحصول عليه؛ لأنَّ فيه تليةً لرغبة العزيز.

٦٦ - فأجابهم أبوهم بجواب لطيف، وامتنع من إرسال أخيهم معهم إلى مصر، حتى يتعهّدوا ويحلّفوا له بالله تعالى أن يردوه سالماً إلا أن يُغلبوا، فلا يقدروا على تخلصه. فلماً أعطوه عهد الله على ما طلب قال لهم: الله على ما نقول شهيد.

٦٧ - ثم خاطبهم مُستعطفاً برحمِ البنوَة، مُؤكداً حفظ أنفسهم: يا أبنائي لا تدخلوا بلد مصر من باب واحد، وادخلوا من أبواب متباudeة خوفاً من أذى العين أو غيره، وما أدفع عنكم بوصيتي هذه شيئاً من قضاء الله تعالى، ما الحكم إلا له وحده، عليه اعتمدت، وبه وثقت، وعليه سبحانه فليعتمد المتوكّلون على الله تعالى.

٦٨ - ولمَّا وصلوا مصر دخلوا من أبواب مختلفة حسب وصية أبيهم، ما كان لينفعهم ذلك الدخول من قضاء الله عليهم، ولكن كان شفقة عليهم في نفس يعقوب، أوصى بها دفعاً لجلب الأنظار عليهم، وإنَّ يعقوب ﷺ لذو علم واسع، وفقهٍ في الدين لما علّمناه بواسطة الوحي، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، وما خصَّ الله به أنبياءه.

٦٩ - ولمَّا دخل إخوة يوسف جمِيعاً عليه أنزلهم عنده، وضمَّ إليه شقيقه في غفلة منهم، وقال له سرّاً: أنا أخوك يوسف، فلا تحزن لما كانوا يعملون بنا من الأذى.

٧٠ - ولمَّا زوَّدهم يوسف بالمؤونة والزاد، وحملَت الخيرات على الإبل، أمر بعض عماله أن يضعوا الإناء الذي يُستخدم للكيل في متعاجبه الشقيق خفية، دون أن يعرف أحد بذلك. ولما تأهّبوا للرحيل صاح منادٍ: يا أصحاب الإبل المسافرين إنّكم لسارقون حقاً.

٧١ - قال إخوة يوسف وهم متوجّهون إلى المنادي: ما الذي تفقدونه؟!

٧٢ - فأجاب المنادي: فقد إناء الملك الذي يُقال به. ومكافأةٌ مَنْ يُحضره مقدار حملِ بغير من الطعام، وأنا ضامن لهذه المكافأة.

٧٣ - فأقسم إخوة يوسف بالله سبحانه مُؤكّدين براءتهم: لقد تحققت من معرفتكم لنا سابقاً، ما جئنا من أجل الإفساد، وليس فينا من يسرق!

٧٤ - قال المحاورون لإخوة يوسف: فما عقوبة السارق عندكم إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة من السرقة؟

٧٥ - قال إخوة يوسف: جزاء السارق لإناء الملك أن يُسترقَ ويصير مملاوِكاً لِمَنْ سَرَقَ منه. مثل هذا الاسترقاء نعاقب الظالمين بالسرقة.

الفوائد والاستنباطات:

١ - جوازأخذ العهد المؤكّد في الأمور المهمة، ولو من أقرب الناس.

٢ - أخذ الأسباب للحدّر من الأذى، وأنّه لا ينافي التوكل على الله تعالى.

٣ - الإيمان بأنّ الحذر لا ينجي من القدر.

٤ - جواز كتمان التخطيط للخير حتى يتمكّن من إنفاذـه.

٥ - استرقاء المسروق منه للسارق تقدّم في شريعة بنـي إسرائيل، وقد نسخه الإسلام بـحد عقوبة السرقة.

﴿فَبَدَا بِأُوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ أَسْتَرْجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كِذَلِكَ كِذَلِكَ كِذَلِكَ لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَتٍ مَّنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ ﴾٧٦﴾ قَالُوا إِن يَسِّرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخُّهُ لَهُ، مِنْ قَبْلٍ فَاسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصْفُونَ ﴾٧٧﴾ قَالُوا يَتَأَيَّهَا الْعَزِيزُ إِنَّهُ لَهُ أَبَا شَيْخًا كِيرًا فَخَذَ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَيْكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعَذِّنًا عِنْهُ إِنَّا إِذَا لَظَلَمْتُمْ ﴾٧٩﴾ فَمَمَا أَسْتَيْسُو مِنْهُ خَلَصُوا بِحَيَاةٍ قَالَ كَيْرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَائِكُمْ قَدْ أَخْذَ عَلَيْكُمْ مَوْتِيقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَمَّا أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ ﴾٨٠﴾ أَرْجِعُوهُ إِلَى أَيِّكُمْ فَقُولُوا يَتَأَبَّنَا إِنَّ أَبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفَظِينَ ﴾٨١﴾ وَسَلِّ الْقَرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِقُونَ ﴾٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلْتُ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرُ جَيْلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَيْعًا إِنَّهُ هُوَ

الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾٨٣﴾

التفسير:

٧٦ - فبدأ المفتش بالبحث في أمتعة إخوة يوسف قبل متاع شقيق يوسف، ثم انتهى بمتاع شقيق يوسف، فرأى إباء الملك، فاستخرجه من متاعه. مثل ذلك ألهمنا يوسف هذا التدبير الخفي المُحْكَم لأخذ شقيقه، وما كان يقدر أن يأخذ شقيقه في شريعة ملك (مصر) لأنَّه ليس من شريعته أن يتملَّك السارق، إلا أنَّ مشيئة الله اقتضت ذلك الحكم. نرفع بالحكمة والإيمان منازل من نشاء من عبادنا، وفوق كل عالم منْ هو أرفع منزلةً منه في العلم، حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى علام الغيوب.

٧٧ - قال إخوة يوسف ليتخلصوا من التهمة ويخذلوا شقيقه : إن يسرق أخونا إباء الملك، فقد سرق فيما مضى أخ له . يقصدون يوسف .. فأخفى تلك التهمة ولم يُظهرها لإخوته تلطفاً بهم، وإحكاماً لتدبير المهمة، وحدَث

نفسه بقوله: أَنْتُمْ أَسْوَأُّ مِنْزَلَةً مَمَّنْ اتَّهَمْتُمُوهُ بِسُرْقَةِ أَخِيهِ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِّنْ خِيَانَتِكُمُ الْسَّابِقَةِ وَالْمُلْاحَقَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالذِّي تَصْفُونَهُ مِنَ الْكَذْبِ.

٧٨ - وَلَمَّا تذَكَّرُوا الْعَهْدُ الَّذِي أَخْذُهُ عَلَيْهِمْ أَبُوهُمْ، قَالَ إِخْرَاجُ يُوسُفَ مُسْتَرْحَمِينَ: يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ، إِنَّ لِهَذَا السَّارِقَ أَبًا كَبِيرًا فِي السِّنِّ لَا يَكَادُ يُسْتَطِيعُ فِرَاقَهُ، فَخَذْ أَحَدَنَا بَدْلًا مِّنْهُ إِنَّا نَرَاكُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ فِي تَعْالِمِكَ وَكَرْمِكَ.

٧٩ - قَالَ يُوسُفُ : عِيَادًا بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ نَأْخُذْ أَحَدًا غَيْرَ الَّذِي وَجَدْنَا إِنَاءَ الْمَلَكِ عِنْهُ حَسْبَ شَرِيعَتِكُمْ، فَإِنَّا إِنْ فَعَلْنَا مَا طَلَبْتُمْ كُنَّا مِنَ الْمُعْتَدِينَ عَلَى الْبَرِيءِ.

٨٠ - ٨١ - فَلَمَّا انْقَطَعَ مِنْهُمُ الْأَمْلُ، وَيَئْسَوْا مِنْ قَبْوِ الرِّجَاءِ، خَلَوْا لِلْمَشَاوِرَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالَ أَخْوَهُمُ الْكَبِيرُ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ: أَلِيْسَ قَدْ أَعْطَيْتُمْ أَبَاكُمْ عَهْدًا وَثِيقًا بَرَدًا أَخِيكُمْ؟ وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ عَذَرَكُمْ يُوسُفُ، فَلَنْ أَفَاقِرُ أَرْضَ مَصْرُ حَتَّى يُسْمِحَ لِي أَبِي بِالْخُرُوجِ مِنْهَا، أَوْ يَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى لِي بِنِجَاهَةِ أَخِي مِنَ الرَّقِّ، وَهُوَ سَبَحَانَهُ أَعْدَلُ الْحَاكِمِينَ. ارْجِعُوْا أَنْتُمْ إِلَى أَبِيكُمْ وَقُولُوا لَهُ مُتَلَّظِّفِينَ فِي خَطَابِكُمْ بِقَرَابَةِ الْأَبَوَةِ: يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ شَقِيقُ يُوسُفَ قَدْ سَرَقَ، وَلَسْنَا نَشَهِدُ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا، إِذْ رَأَيْنَا إِنَاءَ الْمَلَكِ فِي مَتَاعِهِ، وَمَا عَلِمْنَا أَنَّهُ سَيَسْرُقُ حِينَ عَاهَدَنَاكَ عَلَى رَدِّهِ.

٨٢ - وَاسْأَلَ أَهْلَ مَصْرِ وَالْقَافِلَةَ الَّتِي جَئْنَا مَعَهُمْ عَنْ حَقِيقَةِ مَا حَدَثَ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِي ذَلِكَ.

٨٣ - وَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ فَجَعُوهُ بِالْخَبَرِ الْمُحْزَنِ، فَقَالَ لَهُمْ مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلْ زَيَّنْتُ لَكُمْ أَنفُسَكُمْ أَمْرًا خَطِيرًا، لَأَنَّ هَذِهِ الْمُشَكَّلَةُ الْمُلْاحَقَةُ بِسَبِبِ الْمُكَيْدَةِ السَّابِقَةِ بِيُوسُفَ. فَصَبَرُ جَمِيلٌ لَا جُزْعٌ فِيهِ وَلَا شَكُورٌ مَعْهُ لِغَيْرِ اللَّهِ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيَّ أَبْنَائِي الْثَّلَاثَةِ. إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ بِالْأَحْوَالِ، الْحَكِيمُ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (٧٦) إخبار مستقبلي أنَّ اللهَ سيرفع منازلَ مَنْ يشاءُ في الدنيا على غيره، كما رفع منزلةً يُوسُفَ .

٢ - لجوء الإنسان إلى الحيلة مشروعٌ إن كان القصد نبلاً، وغير مشروع إن كان سيئاً.

٣ - لطف الله ورعايته بأنبيائه ونصره لهم.

٤ - فضل العلم ورفعه للعلماء، وتفاوت درجاتهم.

٥ - جريمة السرقة لها عقوبتها في بني إسرائيل.

٦ - إثبات صفتِي العلم والحكمة لله تعالى.

٧ - صبر يعقوب عليه السلام وثباته بعد أن اشتدَّت المحنَّة.

(وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفَنِي عَلَى يُوسُفَ وَأَيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا
تَالَّهُ تَقْتُؤَا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْمَلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا
أَشْكُوْبَثِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْيَقُ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا
مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِي شُورَى مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ
فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَهَلْنَا الْأُضْرُ وَجِئْنَا بِضَعْعَةٍ مُّزْجَدَةٍ فَأَوْفِ لَنَا
الْكِيلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَحْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ هَلْ عِلْمُكُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ
وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٨﴾ قَالُوا أَئْنَكَ لَأَنَّ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قد
مَرِبَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَقَ وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا
تَالَّهُ لَقَدْ أَثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطَّابِينَ ﴿٩٠﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ
يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحْمَانِينَ ﴿٩١﴾ أَذْهَبُوا يَقْمِصِي هَذَا فَالْفُؤُدُ عَلَى وَجْهِي
يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُوفِ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾

التفسير:

٨٤ - وأعرض يعقوب عن أبناءه تاركاً خطابهم: يا حسرتا على يوسف، وابيض سواد عينيه من الحزن والبكاء وفقد بصره، فهو ممتلى القلب حزناً وغمماً.

٨٥ - وأقسم أبناءه بالله تعالى مشفقين على أبيهم : ما تزال تتذَّكِر يوسم تفجُّعاً عليه، وتأسفاً لفراقه، حتى تُشْرِف على الهالك، أو تهلك فعلاً.

٨٦ - أجاب يعقوب عليه السلام : لست أشكوا ثقلَ غمِّي وشدة حزني إليكم، وإنما أشكوا ذلك إلى الله، فهو الذي يكشف الضرر، وأعلم من رحمته ووحيه ما لا تعلمون.

٨٧ - ثم خاطبهم يعقوب عليه السلام واثقاً برحمه الله مُستعطفاً برحم البنوة : يا أبني اذهبوا إلى مصر، فابحثوا واطلبوا خبر يوسف وأخيه، ولا تيئسو من رحمة الله الواسعة. إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم المكذبون بالله تعالى.

٨٨ - فاستجابوا لأبيهم وذهبوا إلى مصر، فلما دخلوا على يوسف خاطبوه بلطف وتعظيم، فقالوا : أصابنا نحن وأهلنا القحط، وجئناك بشمن قليل فائتمم لنا الكيل، ولا تُنْفِضْه لرداة بضاعتنا، وتَصَدِّقْ علينا مما عندك من الخير. إن الله تعالى يُثِيب المتفضلين بأموالهم على أهل الحاجة.

٨٩ - فلما رأى يوسف حالهم، وسمِعَ مقالهم، قال لهم مواجهاً لهم وعاتباً عليهم : هل تذكرون الذي فعلتموه بأخيكم يوسف وشقيقه حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون؟

٩٠ - فأجابوه مندهشين ومستبشرين : هل أنت يوسف حقاً؟ قال : نعم أنا يوسف، وهذا شقيقتي، قد تَفَضَّلَ الله تعالى علينا فجمَعَنا بسلامة وكرامة. إنه من يُطِيع الله بأوامره واجتناب نواهيه، ويصبر على المحن، فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين بأقوالهم وأفعالهم.

٩١ - فأقسموا بالله تعالى : لقد فَضَّلَك الله علينا، ونحن كنا آثمين بما ارتكبنا.

٩٢ - ٩٣ - قال يوسف مُسامحاً لهم : لا عَذَبَ ولا تأنيب عليكم اليوم، وأدعو الله تعالى أن يغفر لكم ذنوبكم، وهو سبحانه أرحم الراحمين لمَنْ تاب من ذنبه. ولما عرف فقدان بصر أخيه قال لهم : خذوا قميصي هذا، واطرحوه على وجه أبي يعقوب يرجع إليه بصره، ثم أَخْضُرُوا إِلَيَّ أهلكم جميعاً.

الفوائد والاستنباطات :

١ - فضل الاعتراف بالذنب والاعتذار للآخرين.

- ٢ - الشكوى إلى الله وحده لكشف الضر.
- ٣ - فضل العفو والصفح عن أساء.
- ٤ - عدم جواز اليأس من رحمة الله.
- ٥ - خطأ أبناء يعقوب عليهما السلام في إغلاظ القول لأبيهم.
- ٦ - الفرج بعد الشدة، والمنحة بعد المحنّة.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمَّ إِنِّي لَا حُذْرٌ بِيْ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَفَنِّدُونِ ﴾٩٤﴾ قَالُوا
تَالَّهِ إِنَّكَ لَهُنَّ ضَلَالٌ كَالْقَدِيمِ ﴾٩٥﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ الْقَنْهُ عَلَى وَجْهِهِ فَأَرْدَدَ بَصِيرًا
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾٩٦﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا
كُنَّا حَاطِعِينَ ﴾٩٧﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾٩٨﴿ فَلَمَّا
دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبُوهُمَّ وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِمَّا مِنْ^{٩٩} وَرَفَعَ
أَبُوهُمَّ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُوْلَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَاهُمَّ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَيِّ مِنْ قَبْلِ^{١٠٠} قَدْ جَعَلَهَا رَبِّيْ حَقًا
وَقَدْ أَحْسَنَ بِيْ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْرِ وَمِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَّعَ الشَّيْطَانُ بِيْ
وَبَيْنَ إِحْوَاتِ إِنَّ رَبِّيْ لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾١٠١﴿ رَبِّ قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ
وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطَّرَ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوْفِيْ
مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِيْ بِالصَّدِيقِيْنَ ﴾١٠٢﴿

التفسير:

٩٤ - ولما غادرت القافلة أرض مصر ومعهم قميص يوسف، قال يعقوب عليهما السلام لمن معه: إنني لا شئ رائحة يوسف لولا أن تُسفهوني، وتنسبوني إلى الخرف.

٩٥ - فأجابوه بشدة مستبعدين ذلك: تالله إنك لا تزال في خطبك القديم باعتقادك أن يوسف حي، وستلقاه.

٩٦ - ولقد تحقق ظن يعقوب عليهما السلام إذ جاءه البشير حاملاً القميص، مبشرًا بسلامة يوسف، طارحاً القميص على وجه أبيه، فعاد مبصراً من شدة الفرح،

وقال لِمَنْ حَضَرَ عَنْهُ: أَلَمْ أَقْلُ لَكُمْ إِنِّي لَأَجْدِ رِيحَ يُوسُفَ، وَإِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟

٩٧ - فأقبل أبناء يعقوب مُعتذرين، يطلبون إليه أن يستغفر لهم الله، واعترفوا بـأخطائهم.

٩٨ - ووعدهم بأن يطلب لهم المغفرة من الله سبحانه. إنَّه هو الغفور لذنب عباده التائبين، الرحيم بهم.

٩٩ - ورحل يعقوب وأهله إلى مصر قاصدين يوسف، فلما دخلوا مصر، ضَمَّ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَرَبَهُمَا إِلَيْهِ، وَدَعَا هُمْ أَنْ يَقِيمُوا فِي مِصْرَ آمِنِينَ مَطْمَئِنِينَ سَالِمِينَ.

١٠٠ - وصَدَرَ أَبَاهُ وَأَمَّهُ عَلَى سَرِيرِ مَلْكِهِ بِجَانِبِهِ تَوْقِيرًا لَهُمَا، وَسَجَدَ لَهُ الْأَبْوَانُ وَالْإِخْوَةُ الْأَحَدُ عَشَرَ تَحْيَةً وَإِجْلَالًا لِيُوسُفَ، لَا عِبَادَةً - وَكَانَ هَذَا السجود جائزًا في شريعتهم، أمَّا في شريعتنا فلا يجوز السجود إلا لله تعالى - وَخَاطَبَ يُوسُفَ أَبَاهُ مُذَكَّرًا لَهُ: إِنَّهُ هَذَا السجودُ هُوَ تَفْسِيرُ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَيْتَهَا، وَقَصَصْتُهَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلِ فِي طَفُولَتِي، قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقِيقَةً وَاقِعَةً، وَقَدْ تَفَضَّلَ عَلَيَّ بِإِحْسَانِهِ الْعَظِيمِ حِينَ أَخْرَجْنِي مِنَ السَّجْنِ، وَجَاءَ بِكُمْ إِلَيَّ مِنَ الْبَادِيَةِ مِنْ بَعْدِ أَنْ وَسَوْسَ الشَّيْطَانُ؛ لِيُفَرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي. إِنَّ رَبِّي لَطِيفُ التَّدْبِيرِ لِمَنْ يَشَاءُ، إِنَّهُ سَبَحَنَهُ الْعَلِيمُ بِالْأَحْوَالِ، الْحَكِيمُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

١٠١ - ثُمَّ تَضَرَّعَ يُوسُفُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: يَا رَبِّي قَدْ أَعْطَيْتَنِي مِنْ مَلْكِ مِصْرَ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، يَا خَالِقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمِبْدِعِهِمَا، أَنْتَ نَاصِرِي وَمَتَولِي شَانِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثَبَّتْنِي عَلَى الإِسْلَامِ فِي حَيَاتِي إِلَى مَمَاتِي، وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُولَيَاءِ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - تَحَقَّقُ رُؤْيَا يُوسُفَ مَعْجِزَةً لَهُ، وَنَعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَتَصْدِيقٌ لِأَبِيهِ يَعْقُوبَ.

٢ - إِذَا كَانَ السجودُ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى جائزًا فِي بَعْضِ الشَّرَائِعِ، فَإِنَّهُ فِي شَرْعِنَا لَا يَجُوزُ إِلَّا للَّهِ تَعَالَى.

٣ - تقرير معجزة رد بصير يعقوب ﷺ عندما شَمَ رائحة قميص يوسف ﷺ.

- ٤ - حرمة اليأس من رحمة الله تعالى .
- ٥ - الشكر لله تعالى على نعمه وكرمه .
- ٦ - استقرار يعقوب وبنيه في مصر .
- ٧ - فضل البر بالآبوبين ، والإحسان إليهما ، وتوقيرهما .

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهُ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوكُمْ أَرْهَمْ وَهُمْ يَكْرُونَ ﴾١٠٢
 أَكْثُرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾١٠٣﴾ وَمَا تَشَهُّدُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
 لِلْعَالَمِينَ ﴾١٠٤﴾ وَكَأَنَّ مِنْ إِيمَانِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعَرِّضُونَ
 وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثُرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾١٠٥﴾ أَفَمِنْؤَانَ تَأْتِيهِمْ عَذَابٌ مِّنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ
 تَأْتِيهِمْ أَسْاعَةً بَعْثَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾١٠٦﴾ قُلْ هَذِهِ سَيِّلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَّا
 وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾١٠٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي
 إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنْقَبَةُ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَنْفَقُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾١٠٨﴾ حَتَّى إِذَا أَسْتَيْشَ الرُّسُلُ وَطَنَوْا
 أَنَّهُمْ قَدْ كُنْدِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا فَنُجِيَ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يُرَدُّ بَاسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾١٠٩﴾ لَقَدْ
 كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبَرٌ لِّا يُؤْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي
 بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾١١٠﴾

التفسير:

١٠٢ - ذلك النبأ العالى الرتبة من أخبار الغيب الذي له شأن عظيم نخبرك به - أيها الرسول - وحيًا ، وما كنت حاضرًا مع إخوة يوسف حين أبرموا المكيدة بيوسف وهم يتآمرون عليه ، وما أكثر الناس بمصدقتك ، ولو حرصت على تصديقهم لك .

١٠٣ - وما تطلب من قومك على تبليغ القرآن وتلاوته أجرًا تأخذه . إن هذا القرآن هدى وموعظة للإنس والجن أجمعين .

١٠٥ - وكم من الآيات الكونية الكثيرة الدالة على عظمة الخالق ووحدانيته مشاهدة في السموات والأرض لا تخفي على أحد، فالكل يشاهدها. لكن كثيراً منهم لا يتأمل ولا يتدارّب ولا يأبه بها.

١٠٦ - وما يصدق أكثر هؤلاء المعرضين عن آيات الله المكذبين به إلا إذا أشركوا مع الله غيره، فإنهم يُقررون بأنَّ الله هو الخالق الرازق.

١٠٧ - يُنكر الله تعالى على هؤلاء المشركين مُوبخاً لهم: فأفْمِنْ هؤلاء المكذبون عقوبة من الله تجتاحهم جميعاً، أو تأتيهم القيامة فجأة وهم لا يُحسّون بذلك؟

١٠٨ - قل أيها الرسول لهم: هذه الدعوة إلى توحيد الله سبحانه هي طريقيتي وسُستي، أدعو إليها على حُجَّة راسخة أنا ومنْ أطاعني واهتدى بسنتي، وأنزَّه الله تعالى عمّا لا يليق بجلاله وعظمته، وأخلص له العبادة ولا أشرك به شيئاً.

١٠٩ - وما أرسلنا من قبلك - أيها النبي - إلا رجالاً لا ملائكة، نوحى إليهم بالرسالة، وهم من أهل الحاضر؛ لأنَّهم أعلمُ من غيرهم، أفلم يَسِرْ هؤلاء المشركون في أرض الله، فينظروا مصارع الأمم المكذبة السابقة، وما حلَّ بهم من الهلاك والدمار؟ ولثواب الدار الآخرة الباقي خيرٌ من متع الدنيا الفانية للذين اتّقوا ربهم، أفلًا تعقلون اتّباع الحق؟

١١٠ - فلا تستبطئ النصر يا رسول الله، فإنَّ الرسل قبلك ما كان يأتينهم النصر عاجلاً، حتى إذا يئس الرسل من إيمان قومهم، وأيقنوا أنَّ قومهم قد كَذَّبُوهُمْ، وخَذَلُوهُمْ، أتاهم نَصْرُنا وعَوْنَانَا عند شدة الكرب، فنستأصل منْ نشاء من المكذبين، ونقذ مَنْ نشاء من الرسل والمؤمنين، ولا يقدر أحد على دفع العقوبة الرادعة عن المعذين.

١١١ - قسماً لقد كان في قصص المرسلين وما حلَّ بالأمم المكذبين موعظة عظيمة لأصحاب العقول السليمة، ما كان هذا القرآن كلاماً يُختلق، ولكن أنزلناه مُصدقاً لما قبله من الكتب، وتبيناناً لكلٍّ ما يحتاج إليه العبادُ من أمور الدين، وهداية للبشر من ضلال الشياطين، ورحمة في الدارين للْمُصَدِّقِينَ بالله تعالى والمرسلين.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - صدق النبي ﷺ في دعوته، وثبوت نبوته.
- ٢ - طريق النبي ﷺ هو طريق الأنبياء من قبله، يدعو لربه على بيته ونور وهدي.
- ٣ - فضل الاتّباع فهو طريق الأنبياء وسبيل الرشاد.
- ٤ - ذم الغفلة عن التفكير في الآيات الكونية.
- ٥ - التفكير في مصير الأمم السابقة موعظة عظيمة.
- ٦ - سنة النصر للأنبياء في دعواتهم، وإن طال البلاء واشتدت الخطوب.
- ٧ - غرس روح الأمل وعيير الرجاء في النفوس.
- ٨ - تأتي بُشرى النصر عند اشتداد البلاء.
- ٩ - في الآية (١١٠) وقف نبوي عند قوله تعالى: ﴿فَتَحْيِي مَنْ شَاءَ﴾، وينظر: تفسير سورة النساء الآية (١٧٣)، وسورة الأنعام الآية (٦٥).
- ١٠ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «في قصص هذه الأمور عبرة للمؤمنين بهم، فإنّهم لا بدّ أن يبتلوا بما هو أكثر من ذلك، ولا ييئسوا إذا ابتلوا بذلك، ويعلمون أنّه قد ابتلى به مَنْ هو خير منهم». (ينظر: تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٥ / ٤).
- ١١ - الداعية غير مكلف باستجابة المدعوين له، بل يأخذ بالأسباب، وال توفيق من عند الله تعالى، فإنّ أكثر الناس للحق كارهون.
- ١٢ - في الآية (١١٠) إخبار مستقبلي عن مجيء النصر بإذن الله تعالى عند اشتداد الكرب.

